

العيد . . لقاء بين الدين والحياة*

١ - العيد الأول

مع نشيد العيد : الله أكبر الله أكبر . . عادت إلى ذهني ذكريات العيد الأول في تاريخ الإسلام ، وكيف احتفل به الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، مع الذين آمنوا معه .

كان ذلك في المدينة بعد صوم رمضان في العام الثاني للهجرة . . ولم تكن للمسلمين في مكة أعياد ، حياتهم فيها كانت كفاحاً متصلاً وصبراً على الأذى ، وجمعاً للقلوب حول الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح في هذه الحياة .

والعام الأول في المدينة لم يكن فيه عيد. وإنما جاء العيد بعد أن توطدت أقدام الإسلام في قاعدة المدينة . ومهدت لذلك أحداث اجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية ، جعلت للاحتفال بالعيد فرحة ولقاء بين الدين والحياة :

١ - شارك الرسول في أربع غزوات ، وأرسل أربع سرايا ، على جبهة تمتد من شمال غرب المدينة على البحر الأحمر ، إلى ما وراء مكة شرقاً .

* في عيد الفطر المبارك : غرة شوال ١٣٨٩ هـ الموافق ١٠ من ديسمبر

واستطاع أن يتعرف عملياً على أرض المعارك ، وطرق التجارة الخارجية التي تعتمد عليها قريش ، وهدد هذه الطرق ، وهاجم بعض القوافل ودخلت في عهده بعض القبائل .

٢ - أثبت المسلمون - مع قلة عددهم وعدتهم - قدرتهم ، لأنفسهم أولاً ، ولأعدائهم ثانياً ، على الحركة والمبادأة والسيطرة على الأرض وحراسة المدينة .

٣ - استطاع الرسول أن يدرب جنده على الأساليب التي سيحتاج إليها عند تصعيد المعارك مع أعدائه .

٤ - وعندما جاءت غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان قبل العيد ، لم تكن تجربة يخوضها المسلمون دون استعداد سابق . . وإنما سبقها ثمان عمليات عسكرية .

٢ - بين الصوم والجهاد

وكان فرض الصيام في شعبان السابق للعيد . . وتحددت مواقيته المتواترة : من الفجر الصادق إلى غروب الشمس . وتهاى المسلمون لشهر من العبادة والتفرغ لقيام الليل ، فإذا بهم يجدون - عملياً - ربطاً قوياً بين الصيام والجهاد ، بين الدين والحياة . فتكون غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان يصومه المسلمون . وعلمهم الرسول القائد كيف يكون الاحتفال بشهر الصيام عبادة وجهاداً . . في المسجد والميدان . . إقامة للمجتمع الحديد في المدينة ، ودفاعاً عنه في جبهات القتال .

٣ - بين الصوم والزكاة

وجاء الأمر بزكاة الفطر مع الأمر بالصيام . . شعيرة يبحث فيها الغنى عن الفقير ، ليقدم إليه جانباً مما أكرمه الله به ؛ وبين عينيه قول الرسول عليه السلام : « صوم شهر رمضان معلق بين السماء والأرض ، لا يرفع إلا بزكاة الفطر » . وتأتى زكاة الفطر دعماً للروابط بين أفراد المجتمع ، وتعاوناً اقتصادياً يؤلف بين قلوبهم على أساس من المودة والرحمة ، يتابعون فيه هدياً تعلموه من رسولهم في رمضان : « كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن . فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجود بالخير من الريح المرسلة » .

٤ - العيد والشهداء

ويأتى العيد الأول على المجتمع الإسلامى ، وقد سبق إلى الله أربعة عشر شهيداً في غزوة بدر : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار - ستة من الخزرج واثنان من الأوس .

ولقى الشهداء ربهم بعد أن أدوا مهمتهم في الحياة ، وفتحوا بالبطولة والفدائية ، رغم قلة العدد والعدة ، إلى النصر طريقاً واسعاً ، جعل لغزوة بدر وكل من يتسبب إليها من المؤمنين ، هذه المكانة في تاريخ الإسلام والإنسان .

٥ - العيد والمجتمع

ويأمر الرسول بصلاة العيد الأول بعد هذا كله :

- بعد الصوم والجهاد والشهداء والزكاة .
- بعد الصراعات الفكرية التي دارت في مجتمع المدينة من أجل القتال في الشهر الحرام ، ومن أجل تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة .

وبدأت تتكون ملامح المجتمع الجديد بعلاقاته وروابطه ، وجهاده وانتصاراته وشهادته ، وفاعليته على الصعيدين المحلي والخارجي ، وقدرته على ردع أعدائه وحماية قاعدة الإسلام في المدينة .

في ظل هذه الظروف كلها احتفل المسلمون بالعيد الأول ، احتفالاً فيه فرحة النصر في بدر ، والثقة في المستقبل ، والحزن النبيل على الشهداء . ويخرج الجميع إلى المصلى : المنتصرون .. أبناء الشهداء وأهلهم .. الذين حضروا بدماءً والذين لم يحضروا .. الشيوخ والرجال والشباب والأطفال . النساء والبنات .. من تجب عليه الصلاة ومن لا تجب .. ويكفيه سماع الخطبة ، فالصلاة كانت في ظاهر المدينة ولم تكن في المسجد .

صلاة عيد كانت أم عرضاً شاملاً لقوة المجتمع الجديد ؟ هذه القوة البشرية المؤمنة من المهاجرين والأنصار .. بأفراحهم وأحزانهم .. بابتساماتهم ودموعهم .. بآمالهم وآلامهم .. بحاضرهم المكافح ، وتطلعهم إلى الغد المرموق .

خرجوا جميعاً وقد أمرهم القائد بالتكبير ، وفاضت بهم طرقات المدينة :

تكبير في الطريق إلى المصلى .

تكبير في الصلاة .

تكبير في الخطبة .

تكبير بعد الصلاة .

وسعدت الآذان والألسنة والقلوب بالتوجه إلى الله : الله أكبر ،
الله أكبر .

نعم ! الله أكبر من كل ألم ومن كل فرحة . . من كل عدو . .
من كل عقبة . .

الله أكبر ، نصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . .

العيد إذا لم يكن مجرد أداء صلاة ، وإنما كان اجتماعاً دينياً سياسياً
شاملاً ، كان أضخم اجتماع عقدته قاعدة الإسلام في المدينة ، ولا يفوقه
— من بعد — إلا اجتماع الحج الأكبر في ذي الحجة .

٦ — أعيادنا

وتمر السنون والقرون بأفراحها وأحزانها وانتصاراتها ونكساتها . .
ويجتمع المسلمون اليوم في صلاة العيد ، ويستشعرون مسئولية يحملونها في
بطولة وإيمان . . في قلوبنا تعيش فرحة الأمل بقواتنا المسلحة الرابضة على
خطوط المواجهة ، تحتفل بالعيد ويدها على السلاح في أشرف المواقع .

والى مساجدنا خرج أبناء الشهداء وأهلهم ، كما خرج من قبلهم
أخوانهم عندما تقبل الله شهداء بدر ، مدافعين عن العقيدة والأرض
والعرض .

ومع ارتفاع الأصوات بالتكبير نذكر جهوداً كريمة تبذلها هذه القوى المؤمنة كلها : هؤلاء المؤمنون الشرفاء في مواقع الإنتاج والخدمات ، وعلى مستويات المسؤولية . يبذلون الجهد الدائب في بطولة ونكران ذات ، ويمدون معركة المصير بمددها البشرية والمادى والروحي .

وفي اللقاء حب وإخاء ، بين الذين أخرجهم العدو من ديارهم ، والذين استقبلوهم في القلوب قبل الدور . . إخواننا من أبناء سيناء والقناة والضفة الغربية والجلولان ، ومن الأرض الغالية : فلسطين . وبين الأعين قول الله تعالى : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . [الحشر : ٩] .

ومسجدنا الأقصى إذا كانت النيران قد أحرقت منه أجزاء ، فإن حرارة اللهب باقية بين ضلوعنا . والتعبير الحقيقي عن تعلق قلوبنا بالمسجد الأقصى ، هو الجهد الدائب المنظم ، استرداداً لمقدساتنا وأرضنا السليبة ، حتى نعود إلى القدس ويعود القدس إلينا .

إن المعارك مع عدونا تتصاعد . وإن فرحة الأعياد تتصاعد . . كل عيد يقربنا من يوم النصر عيد أكبر ، حتى نصل إلى عيد النصر الأكبر . عندما يسعد المسجد الأقصى الأسير بالتكبير الحُر ، ويعود الخطيب إلى منبر صلاح الدين ، بعد إنشائه من جديد . ويجتمع قادة العرب والإسلام مع الشعوب المؤمنة في صلاة جامعة بالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله .

• • •

وتحية إلى قادة نضالنا ، وإلى جيوشنا في كل جبهة : والفدائيين في كل موقع ، والمؤمنين بحقنا في كل أرض ، والمدافعين عنه في كل محفل . . .

تحية في يوم عيد ، ندعو الله أن يجعل من ورائه نصراً يفرح به المؤمنون ، ويعود به السلام إلى أرض السلام . . نصرأ تصنعه جهود الأحياء ودماء الشهداء الذين أكرمهم الله بقوله : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ، أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » . [آل عمران : ١٦٩ - ١٧١] .

فجمع الله لهم في هذه الآيات عشر صور من الأجر والكرامة ، ما اجتمعت لغيرهم ، جزاء بما كانوا يعملون .

تم بحمد الله تعالى